محاضرة: بيبليوغرافيا التطبيقات البلاغية:

كتب البلاغة العربية القديمة:

البلاغة العربية من أعرق العلوم اللغوية وأكثرها أصالة، حيث تجلت عناية العرب بها منذ فجر الإسلام، وكان الدافع الأول لنشأتها هو خدمة النص القرآني الكريم وفهم أسرار إعجازه البلاغي. وقد شهد هذا العلم تطوراً مذهلاً عبر العصور، من تنظيرات متفرقة في كتب الأدب والنقد، إلى تأسيس قواعد راسخة على يد الجرجاني، ثم إلى تقعيد منظم على يد السكاكي والقزويني، وصولاً إلى عصر الشروح والحواشي التي أثرت المكتبة العربية بآلاف المجلدات.

يمكن تقسيم كتب البلاغة العربية القديمة – وفقاً لتطورها التاريخي – إلى أربع مراحل رئيسية: مرحلة التأسيس (المؤثرات الأولى)، مرحلة التقعيد والتنظير، مرحلة الذروة والنضج، ومرحلة الشروح والحواشي.

أولاً: مرحلة التأسيس: (القرن 2-4 هـ)

شهدت هذه المرحلة بدايات التفكير البلاغي، حيث لم تكن البلاغة علماً مستقلاً بعد، بل كانت مبثوثة في كتب التفسير، والنقد الأدبي، والفقه، وعلم الكلام.

1. مؤثرات فلسفية ومنطقية

أ. الترجمات اليونانية وشروح الفلاسفة

كان لجهود الفلاسفة العرب في ترجمة وشروح كتاب "الخطابة" لأرسطو أثر كبير في بلورة الفكر البلاغي العربي . ومن أبرز هذه الشروح:

"كتاب "الخطابة" لأبي نصر الفارابي (ت 339هـ)

من أهم الشروح العربية لكتاب أرسطو، حيث مزج بين المنطق الأرسطي والبلاغة العربية.

"رسالة ابن سينا (ت 428هـ) في "معاني كتاب الخطابة"

تعليق فلسفي عميق على البلاغة الأرسطية.

"الشرح الأوسط" لابن رشد (ت 595هـ) على كتاب أرسطو. ويُمثل تتويجاً للفلسفة العربية في فهم البلاغة وتحليلها.

وقد ساهمت هذه الشروح في إدخال مفاهيم جديدة مثل: التمييز بين الإقناع العقلي والشعوري، وتصنيف أساليب الخطابة، وآليات التأثير في المتلقي.

2 .التراث النقدي والأدبي المبكر

قبل أن تصبح البلاغة علماً مستقلاً، كان النقاد والأدباء يمارسونها في سياق تحليل الشعر والنثر. ومن أبرز هذه المصنفات:

أ. "البيان والتبيين" للجاحظ (ت 255هـ)

هذا الكتاب موسوعة أدبية بلاغية فريدة، تناول فيه الجاحظ قضايا دلالية وبلاغية عميقة. وقد ناقش:

- قضية "اللفظ والمعنى" وعلاقتهما الجدلية
- أهمية السياق في تحديد فصاحة الكلام
- تحليل الخطب العربية وأسرار تأثيرها
- استشهاد بأمثلة من القرآن والشعر والخطب

ب. "نقد الشعر" لقدامة بن جعفر (ت 337هـ)

أول كتاب نقدي منهجي في العربية، وقد وضع فيه قدامة أسساً نقدية بلاغية، حيث تناول:

-عيوب الشعر وطرق تقويمها
- مفهوم "اللفظ والمعنى" في النقد
- العدول عن الأصل اللغوي كأساس للصورة البلاغية

ج. "الوساطة بين المتنبي وخصومه" للقاضي الجرجاني (ت 392هـ)

كتاب نقدي تطبيقي رائد، يُظهر أثر التفكير البلاغي في تقييم النصوص، وقد مثل جسراً بين النقد والبلاغة قبل استقلال الأخيرة.

3 .الإعجاز القرآني حافز للتفكير البلاغي

كان موضوع "إعجاز القرآن" – أي كونه تحدياً للعرب على مستوى اللغة والأسلوب – هو الدافع الأعظم لتطوير علم البلاغة. ومن أوائل الكتب المتخصصة في هذا المجال:

أ. "إعجاز القرآن" للباقلاني (ت 403هـ)

يُعد أول كتاب متكامل في إعجاز القرآن، وقد ناقش الباقلاني:

- وجوه الإعجاز: البياني، والتشريعي، والإخباري

- الفرق بين كلام البشر وكلام الله

- تحليل الآيات القرآنية وإبراز أسرارها البلاغية

ب. "مفاتيح الغيب" (التفسير الكبير) للفخر الرازي (ت 606هـ)

رغم كونه تفسيراً، إلا أنه حافل بالتحليلات البلاغية العميقة، وقد أسهم في ربط البلاغة بعلم الكلام والفلسفة.

ثانياً: مرحلة التقعيد والتنظير – تأسيس علم البلاغة المستقل (القرن 5-7 هـ)

.1عبد القاهر الجرجاني (ت 471هـ) – مؤسس البلاغة النظرية

يمثل عبد القاهر الجرجاني نقطة تحول كبرى في تاريخ البلاغة العربية. فقبله كانت البلاغة "صناعة" يمارسها النقاد دون تنظير متكامل. وبعده أصبحت "علماً" له أصوله وقواعده ومصطلحاته.

أ. "أسرار البلاغة"

هذا الكتاب من أروع ما كتب في البلاغة العربية، وقد تناول فيه الجرجاني:

"نظرية التشبيه" ودرجة الإبداع فيه

"الاستعارة" وتحليلها من خلال "العقل" لا "اللفظ" فقط – مقدماً بذلك نظرية متقدمة في التصوير الفني

"الكناية" وأسرارها التعبيرية

"المجاز" وأنواعه وشروطه

ب. "دلائل الإعجاز"

يُمثل هذا الكتاب قمة التأصيل النظري للبلاغة العربية، وقد وضع فيه الجرجاني نظريته البارعة في "النظم"، التي تُعد من أعمق النظريات اللغوية في التراث العربي .

تقوم نظريته على أن الإعجاز القرآني لا يكمن في المفردات وحدها، ولا في المعاني المجردة، وإنما في طريقة تأليف هذه المفردات وتركيبها وتنظيمها وفق قواعد دقيقة تنتج معنى زائداً على المعاني الجزئية للكلمات .

ويخلص الجرجاني إلى أن البلاغة هي علم التراكيب وليس علم المفردات تأكيداً على أن الجمال البلاغي ينشأ من العلاقات بين الكلمات وليس من الكلمات وحدها.

2 .يوسف بن أبي بكر السكاكي (ت 626هـ) – "كتاب المفتاح"

السكاكي صاحب المعلم الأهم في تاريخ البلاغة العربية بعد الجرجاني. كتابه "مفتاح العلوم" يُعد بحق مرحلة الانتقال من البلاغة النظرية إلى البلاغة التعليمية المنهجية.

يتكون الكتاب من ثلاثة أقسام كبرى:

"علم الصرف"

"علم النحو"

"علم البلاغة" (وهو ثلث الكتاب)

والقسم الثالث – وهو الخاص بالبلاغة – قُسم إلى ثلاثة علوم:

1 .علم المعاني – ويبحث في "تأدية المعنى الواحد بطرق مختلفة في السياق"، أي كيف تختار التركيب الأنسب للمعنى المطلوب في موقف معين.

2 .علم البيان: ويبحث في التشبيه والاستعارة والكناية والمجاز.

3 .علم البديع: ويبحث في محسنات الكلام اللفظية والمعنوية.

وبهذا التقسيم الثلاثي وضع السكاكي الخريطة التي سار عليها البلاغيون من بعده، وأصبح هذا التقسيم هو التعريف الرسمي لعلم البلاغة لقرون.

3 .الفخر الرازي (ت 606هـ) – "نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز"

جمع الرازي في كتابه بين متطلبات الإعجاز القرآني وأصول البلاغة. وقد ناقش فيه قضايا نظرية مهمة مثل حقيقة الإعجاز ووجوهه، كما استفاد من علم الكلام والمنطق في صياغة قواعده البلاغية.

4 .ابن سنان الخفاجي (ت 466هـ) – "سر الفصاحة"

عالج الخفاجي موضوعاً أساسياً في البلاغة هو "الفصاحة"، وبين ضوابطها وشروطها في اللفظ المفرد والتركيب والكلام. وقد مهد كتابه لدراسات مهمة في جماليات النص العربي.

ثالثاً: مرحلة الذروة والنضج – التلخيص والمتون الجامعة (القرن 7-8 هـ)

1 .خطيب القزويني (ت 739هـ)

فالقزويني صاحب الإسهام الأكبر في ترتيب علم البلاغة وتثبيت مصطلحاته، وهو الذي جعل التقسيم الثلاثي الذي وضعه السكاكي هو التقسيم النهائي للبلاغة العربية، وخلط بين اتجاهي السكاكي والجرجاني في مذهب يُعرف بـ"المذهب المختلط."

أ. "تلخيص المفتاح"

في هذا الكتاب لخص القزويني القسم الثالث من كتاب السكاكي ("مفتاح العلوم")، وأعاد صياغته بأسلوب سهل واضح، مع حذف بعض الأجزاء وتعديل الترتيب. أصبح هذا الكتاب هو المتن الأساسي لتدريس البلاغة في العالم العربي لعدة قرون.

ب. "الإيضاح في شرح تلخيص المفتاح"

يُمثل هذا الكتاب شرحاً موسعاً وموسوعياً لكتابه "التلخيص"، ويعد مرجعاً فريداً في البلاغة العربية حيث لا يزال يطبع ويُدرس حتى اليوم.

2 .المتون البلاغية الصغرى

إلى جانب الكتب الموسعة، ظهرت متون مختصرة سهلة الحفظ، جرى تدريسها في حلقات العلم والمعاهد الدينية:

"الشمسية" متن مختصر في البلاغة

"العضدية" للإيجي (ت 756هـ)

" مختصر المعاني" للتفتازاني (ت 792هـ)،

وهو من أشهر المتون وأكثرها تداولاً

رابعاً: مرحلة الشروح والحواشي – التراكم والنضج التعليمي (القرن 8-12 هـ)

بعد استقرار علم البلاغة وتدوين قواعده في متون محكمة، بدأ عصر الشروح والتعليقات والحواشي. وقد أسهم هذا العصر في:

زيادة الدقة في فهم النصوص البلاغية

تطوير المصطلحات وتدقيقها

إضافة أمثلة وشواهد جديدة

1 .سعد الدين التفتازاني (ت 792هـ)

يُعد التفتازاني من أعظم الشراح في تاريخ البلاغة العربية. وقد شرح كتاب القزويني "تلخيص المفتاح" في كتابين عظيمين:

"المطول" شرح مطول كبير

يعد من أهم كتب البلاغة على الإطلاق، وهو مرجع للباحثين والمتخصصين.

"المختصر" (أو: "شرح التلخيص") شرح متوسط، يُدرس في المعاهد والجامعات العربية حتى اليوم.

2 .الشريف الجرجاني (ت 816هـ)

اشتهر الجرجاني بحواشيه وتفريعاته الدقيقة على "المطول" للتفتازاني، وقد أضاف إليها مسائل دقيقة وأمثلة جديدة. كتابه "حاشية الشريف على المطول" يعد من الكتب الضخمة والمهمة.

3 .أبو القاسم السمرقندي (ت بعد 888هـ)

اشتهر السمرقندي بكتابه "رسالة في الاستعارات" (المعروفة بـ "الرسالة السمرقندية")، وهي رسالة صغيرة الحجم كبيرة الأثر وضحة المنهج في شرح الاستعارة. وقد كُتبت عليها حواش وشروح متعددة مثل "حاشية الباجوري" و"حاشية الدسوقي. "

.4ابن أبي الحديد المعتزلي (ت 656هـ)

من أعظم شروح البلاغة وأكثرها عمقاً هو شرح ابن أبي الحديد **"لنهج البلاغة"**، حيث مزج بين البلاغة والأدب والتاريخ والفلسفة.

5 .إبراهيم الباجوري (ت 1277هـ) وحواشي العصر المتأخر

برزت في هذه الفترة حواشي متعددة على المتون، من أشهرها "حاشية الباجوري على السمرقندية"، و"حاشية الدسوقي"، و"حاشية الصبان". وقد مثلت هذه الحواشي ذروة العناية التفصيلية والتحليل الدقيق للنصوص البلاغية.

خامساً: أعمال بارزة أخرى في التراث البلاغي

1 **"الطراز المتضمن لأسرار البلاغة" لابن حمزة العلوي (ت 674هـ)**

يُعد من الموسوعات البلاغية الشاملة، جمع فيه صاحبه بين أسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز.

2 ."الصناعتين" لأبي هلال العسكري (ت نحو 400هـ)

كتاب جمع بين الشعر والنثر في التحليل البلاغي، وقد أسهم في تأسيس النقد البلاغي التطبيقي.

3 .العمدة في محاسن الشعر وآدابه" لابن رشيق القيرواني (ت 463هـ)

رغم كونه كتاباً في نقد الشعر، إلا أنه تضمن قضايا بلاغية مهمة، وخاصة في العيوب والمحاسن الشعرية.

4 " تاج العروس" وأمهات المعاجم

المعاجم اللغوية مثل "لسان العرب" و"القاموس المحيط" و"تاج العروس"، كانت خزانات هائلة للأمثلة البلاغية والمصطلحات والمفردات، ولا تزال مراجع ضرورية للباحث البلاغي.

5 .تراث النقاد التطبيقيين

كتب مثل **"الموازنة بين الطائيين" لأبي هلال العسكري، و"كتاب البديع" لابن المعتز، و"نقد الشعر" لقدامة بن جعفر.** جميعها تطبيقات بلاغية قبل أن يصبح العلم مدوناً.

كتب البلاغة العربية الحديثة

أولاً: الاتجاه التراثي التجديدي – إعادة قراءة البلاغة القديمة

في مقابل الاتجاهات التي تخلت عن التراث البلاغي القديم، برز تيار ثالث يسعى إلى تجديد النظر في البلاغة العربية من داخلها، وتجاوز القصور الذي لحق بها في عصور الانحطاط والجمود، والعودة إلى منابعها الأصلية في التراث النقدي والبلاغي الأول.

1 .جهود الدكتور محمد عبد المطلب

يُعد الدكتور محمد عبد المطلب من أبرز المجددين في الدرس البلاغي العربي المعاصر. وقد أصدر عدة مؤلفات مهمة في هذا المجال، من أبرزها:

"البلاغة والتشكيل"

"البلاغة والأسلوبية"

"في البلاغة العربية: قراءة أخرى"

وقد تميزت أعماله بمحاولة تجاوز النظرة الضيقة للبلاغة بوصفها مجرد صنعة لفظية، وإعادة الاعتبار لبعدها الجمالي والتشكيلي.

2 .جهود الدكتور محمد العمري

له إسهامات بارزة في تجديد الدرس البلاغي، من أبرزها:

"البلاغة العربية: أصولها وامتداداتها"

"في تفكيك الخطاب البلاغي"

تميزت كتاباته بالنظر النقدي العميق في تاريخ البلاغة العربية وتقاطعاتها مع الفلسفة والمنطق.

3 .جهود الدكتور صلاح فضل

رائد من رواد النقد العربي الحديث، وله إسهامات بلاغية مهمة من خلال:

" علم الأسلوب: مبادئه وإجراءاته"

"بلاغة الخطاب وعلم النص"

وقد أسهم في تطوير الأسلوبية العربية من خلال الاستفادة من المناهج الغربية مع الحفاظ على الخصوصية التراثية.

4 .مؤلفات الدكتور جابر عصفور

قدم إسهامات نقدية بلاغية مهمة، كان من أبرزها:

"الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي"

"البلاغة والنص"

حاول من خلالها الكشف عن الأبعاد الجمالية في التراث البلاغي والنقدي العربي.

ثانياً: الاتجاه الأسلوبي(Stylistics)

يعد الاتجاه الأسلوبي من أكثر الاتجاهات تأثيراً في البلاغة العربية الحديثة، حيث قام على أسس وضعها اللسانيون الغربيون (شارل بالي، سبيتزر، ريفاتير) ثم وجدت طريقها إلى العالم العربي. ويتميز هذا الاتجاه بالاهتمام بـ"الانزياح" و"الخروج عن المألوف" كأساس للأسلوبية.

1 .مفهوم الأسلوبية وعلاقتها بالبلاغة

ترى المدرسة الأسلوبية أن البلاغة التقليدية كانت تهتم بدراسة "الصنعة" اللفظية، بينما تهتم الأسلوبية الحديثة بدراسة "الاختيارات" اللغوية التي يقوم بها المبدع، والكشف عن "النسيج" الخاص الذي يميز أسلوبه. وبذلك، تقدم الأسلوبية أدوات أكثر دقة لتحليل النصوص الأدبية.

2 .من أبرز الكتب والدراسات الأسلوبية

أ. "علم الأسلوب: مبادئه وإجراءاته" لصلاح فضل

يُعد هذا الكتاب من أهم المداخل العربية إلى الأسلوبية، حيث يشرح مفاهيمها الأساسية ويقدم تطبيقات على نصوص عربية.

ب. "الأسلوبية: النظرية والتطبيق" لمحمود الضبع

كتاب جامع يقدم عرضاً نظرياً للأسلوبية ثم تطبيقات عليها في الشعر العربي.

ج. "البنية الإيقاعية للشعر العربي" لإبراهيم أنيس

دراسة أسلوبية رائدة في الإيقاع الشعري، تمثل علامة في الدراسات الأسلوبية العربية.